تخطيط المدن
في المغرب العربي

- دراسة تراثية حتى مطلع القرن الرابع الهجري -

الأستاذ الدكتور المهندس
إياد عاشور الطائي



دار دجلة للنشر والتوزيع

Preview sample - page 1 of 13 - Soran University Academic Digital Library

٢٧٦٧٧

تخطيط المدن في المغرب العربي

دراسة تراثية حتى مطلع القرن الرابع الهجري

Preview sample - page 2 of 13 - Soran University Academic Digital Library

المقدمة

تمثل منطقة المغرب العربي جزأ مهما في امتداد الحضارة العربية الإسلامية وخاصة منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي بعد تحرير العرب المسلمين لها مما كان وراء التطور الشامل ضمن إطار الحضارة العربية الإسلامية.

وتكمن أهمية البحث كونه يهتم بدراسة تخطيط المدن في هذا الجزء المهم من الوطن العربي والأمة العربية الذي يشغل نحو (٤٠٪) من مساحة الوطن العربي ويعيش فيه قرابة ثلث سكانه، يأتي ذلك في وقت أهملته دراسات الباحثين خصوصاً في الجانب التخطيطي مقارنة مع ما تم دراسته من المدن في المشرق العربي الإسلامي وتركيز تلك الدراسات على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية على الرغم من أن عدداً من تلك المدن حافظت على نسيجها الحضري وعناصرها التخطيطية الذاتية مثل تونس وفاس والمهدية وتلمسانة والقيروان ومراكش وغيرها من المدن التي ما زال كثير من آثارها شاخصة رغم أن بعضها نشأت معاصرة أو متقاربة مع مدن مهمة في الشرق الإسلامي كالكوفة والبصرة وغيرها وتأثرها بها.

ويمتاز المغرب العربي بتفرد وتمييز شخصيته ضمن إطارها العربي إذ جاءت نتاجاً لتفاعل عميق بين بيئة ملائمة وإنسان نشيط، ووجه ذلك كله موقع مهم واتصال سهل بينه وبين أوربا والبحر المتوسط شمالاً، والمشرق العربي بثقله الحضاري شرقاً، وقد لاحظ الجغرافيون هذه الوحدة الفريدة منذ زمن بعيد فأطلقوا عليه اسماً واحداً كان يختلف من حين لآخر حتى جاء العرب فسموه باسم (جزيرة العرب) لوقوعه بين بحرين أحدهما من الماء والآخر من الرمال.

إن الهدف من البحث هو دراسة تخطيط المدن في المغرب العربي وبيان ما تتصف به من خصائص حضرية عامة سبقها عليه الإسلام الذي يمثل منهج الحياة مصدري التشريع وهما القرآن الكريم والسنة، مما ميز الهيكل الحضاري للمدينة العربية الإسلامية عن غيرها من المدن في المشرق العربي من خلال دراسة مواقعها ومخططاتها ونسيجها المعماري واستعمالات الأرض فيها ومصدر إصدار القرارات التخطيطية التي أثرت في خطط المدن الإسلامية وتشكيلها.

ويغطي البحث مكانياً دول المغرب العربي تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والتي تمتد من حدود تونس والجزائر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، أما الحدود الزمنية فهي حتى نهاية القرن الرابع الهجري حيث انتشار الإسلام أثناء القرون الأربعة الأولى هذه من

Preview sample - page 3 of 13 - Soran University Academic Digital Library

التاريخ الإسلامي، انعكس ذلك على المؤسسات والمبادئ التخطيطية ذات الأطر الاجتماعية والقانونية والاقتصادية والنشاط الحضري والعمراني الذي تسارع في تطوره أثناء تلك المدة.

ورافق النشاط العمراني مشاكل تطلبت المعالجة ضمن إطار تشريعي لضبطها والبت فيها تمثل بالفقه والشريعة الإسلامية وأن هذه الخطوط التشريعية الإسلامية الموحدة الموجهة والإطار الحضاري الاجتماعي المتمثل تقريبا الذي أوجده الإسلام بالإضافة إلى تماثل الظروف المناخية وتقنيات البناء في معظم أنحاء الوطن العربي سواء في مشرقه أو مغربه قد ساعدت في اعتماد الأسس ذاتها في تأسيس وتخطيط المدن والذي نتج عنه نمط حضري بخصائص عربية إسلامية مميزة انتشر على امتداد الأرض العربية وتلك المتأثرة بحضارة العرب.

أما الخصوصية التي تميزت بها مدن المغرب العربي ضمن النمط الحضري العربي الموحد فكانت بسبب التأثيرات المحددة للمناخ المحلي والظروف الاقتصادية ومواد البناء المتاحة، والتأثيرات والمداخل الأسلوبية الموضوعية مما حقق مراحل نضوج في القرن الرابع الهجري استمر إلى عشرة قرون أخرى.

أما مصادر البحث فتمثلت بما وفره التراث العربي الإسلامي المدون في المخطوطات والمصادر العربية إلى جانب ما تبقى من آثار هذه المدن، ولاسيما أن كثيراً من الجوانب الأثرية والمعمارية يتأكد فهمها بصورة سليمة في ضوء هذه المصادر، وثبت أن كتب الفقه الإسلامي تمثل مصدراً مهماً آخر لدراسة المدينة العربية الإسلامية من خلال المشاكل التي كانت معروفة جداً ويتم التعامل بها ضمن إطار القيم والتقاليد الإسلامية فضلاً عن الروايات التاريخية وكتب البلدانيين والرحالة والمراجع والدراسات الحديثة التي ساعدت كثيراً في تزويد وإغناء هذا البحث بالمعومات المهمة.

ويطرح هذا البحث أمامنا مشكلة المعلومات التي كانت تمثل المهمة الأكثر صعوبة التي واجهت الباحث، فأغلب المصادر العربية القديمة التي كتبت عن فن الخطط اقتصرت على وصف بعض الأحياء والطرق والأسواق وموقع الجامع ودار الإمارة وغيرها من المؤسسات المهمة في المدينة العربية الإسلامية، وأن المؤلفات القديمة التي كرست لخطط المدن قليلة ولا تتناسب مع العدد الكبير من المدن التي أقامها العرب المسلمون، والتي أغلبها ركزت على مدن المشرق العربي، مقارنة مع ما كتب عن خطط المدن في المغرب العربي وهو نادر جداً.

ويلاحظ الباحث أن كثير من الدراسات العلمية للمدينة العربية الإسلامية قد تمت من زوايا مختلفة غير متكاملة مع بعضها وانحسرت في دراسة الجزئيات دون الربط بينها

Preview sample - page 4 of 13 - Soran University Academic Digital Library

مما يشكل الشكل الحضري وما يفسر غموض الصورة الحقيقية للمدينة العربية الإسلامية وقد تضمن البحث مقدمة وأربعة فصول وخاتمة تمثل استنتاجات والتوصيات في الفصل الأول ثم دراسة المفاهيم الأساسية في تخطيط المدن في المغرب العربي المتمثلة بمفهوم المدينة وإقليمها وتخطيط المدن وخططها، وتوضح مفهوم المدينة العربية الإسلامية في المغرب العربي والبيئة الحضرية ودراسة تأثيرها بالتحضر ما قبل الإسلام والتأثير الترابطي لمدن المشرق العربي عليها وتأكيد أصالة هذه المدن ومدى تأثير الأساس الفقهي على التنظيم العمراني فيها.

أما الفصل الثاني فقد تم دراسة أثر البيئة الجغرافية على إقامة المدن في المغرب العربي، ودراسة نشوء المدن فيها قبل وبعد الفتح الإسلامي والعوامل التي ساعدت على نشوء تلك المدن وتم دراسة الخصائص المميزة للمدن العربية الإسلامية في المغرب العربي المتمثلة بنواحي التكوين الفضائي كالهيكل الحضري والمنطقة المركزية للمدينة (قلب المدينة)، النسيج الحضري ومفهوم توزيع استعمالات الأرض، ومفهوم قطاع الحركة والتنظيم الإسكاني والجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

أما الفصل الثالث فقد تم فيه اختيار مدينة تونس نموذجاً لدراسة موروفولوجية المدن في المغرب العربي، من خلال توضيح موقع وموضع المدينة ونشأتها وتطورها ومراحل توسعها العمراني ومخططها المتمثل بقلب المدينة ونظام شوارعها ونمط قطع الأراضي ونمط الأبنية والنسيج الحضري واستعمالات الأرض الحضرية كالاستعمالات التجارية، والسكنية، والصناعية – الحرفية والدينية واستعمالات الأرض لغرض النقل والفضاءات الحضرية المفتوحة والاستعمالات الأخرى كالخدمات التحتية، وتم دراسة الشكل الحضري للمدينة وعناصره.

وفي الفصل الرابع تم دراسة مفهوم الحفاظ وعناصر التجديد الحضري في المدن العربية الإسلامية وخصوصيتها الحضرية ومراعاة بعض الاعتبارات في مشاريع التجديد الحضري، وتم اختيار مدينة تونس مثالاً لعمليات الحفاظ على الموروث المديني في المغرب العربي إذ تم توضيح الملامح المميزة للمدينة والمشكلات التي تتعرض لها المدينة القديمة والحلول التخطيطية لها ومشاريع الحفاظ فيها المنفذة من قبل جمعية صيانة المدينة والعوامل المحددة لاتجاهات الحل التخطيطي لمدينة تونس.

الباحث

Preview sample - page 5 of 13 - Soran University Academic Digital Library

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
الفصل الأول **مفاهيم أساسية في تخطيط المدن في المغرب العربي**	
المقدمة	١٥
تسمية المغرب العربي	١٥
مفهوم المدينة	١٦
المدينة والإقليم	٢٠
تخطيط المدن وخططها	٢٢
مفهوم المدينة العربية الإسلامية	٢٥
أثر تحضر ما قبل الإسلام على تخطيط المدن العربية الإسلامية في المغرب العربي.	٢٧
التأثير المعماري – التخطيطي لمدن المشرق العربي على مدن المغرب العربي.	٣١
تأثير تسميات المدن والقصور في المغرب العربي	٣٧

Preview sample - page 6 of 13 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	الصفحة
الأساس الفقهي وأثره على التنظيم المعماري في المدينة العربية الإسلامية	٣٨
المدينة انعكاس لروح المجتمع العربي الإسلامي	٤٧
الخاتمة	٥٣

الفصل الثاني

التخطيط ودوره في إقامة المدن في المغرب العربي

المقدمة	٥٧
البيئة الجغرافية وأثرها على إقامة المدن في المغرب العربي	٥٧
السطح	٥٨
المناخ	٦٢
نشوء المدن في المغرب العربي قبل الفتح الإسلامي	٦٣
نشوء المدن في المغرب العربي بعد الفتح الإسلامي	٦٩
عوامل نشوء المدن في المغرب العربي	٧٨
العامل الطبيعي (الموضع والموقع)	٧٩
العامل الديني	٨٥
العامل الدفاعي (العسكري)	٨٦

Preview sample - page 7 of 13 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	الصفحة
العامل الإداري (السياسي)	٩٠
العامل الاقتصادي (خاصة التجاري)	٩١
العامل الاجتماعي (الهجرة)	٩٢
الخصائص المميزة للمدن العربية الإسلامية في المغرب العربي	٩٥
التكوين الفضائي	٩٥
الهيكل الحضري	٩٥
الاحتواء	٩٦
الهرمية (التدرج)	٩٩
الاتجاهية	١٠٠
المقياس الإنساني	١٠٠
المنطقة المركزية (قلب المدينة)	١٠١
النسيج الحضري	١٠٢
مفهوم توزيع استعمالات الأرض	١٠٨
مفهوم نظام الحركة	١٠٩
التنظيم الإسكاني	١١٣
المجموعة السكنية	١١٤

Preview sample - page 8 of 13 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	الصفحة
الحي السكني	١١٥
الوحدة السكينة	١١٧
الجوانب الاجتماعية – الاقتصادية	١١٩
المشهد الديني	١٢١
الخاتمة	١٢٢
الفصل الثالث	
نموذج من مورفولجية المدن في المغرب العربي (مدينة تونس)	
المقدمة	١٢٧
اسم المدينة	١٢٨
موقع وموضع المدينة	١٢٩
نشأة المدينة وتطورها	١٣١
قبل الفتح الإسلامي	١٣١
بعد الفتح الإسلامي	١٣٣
مراحل التوسع العمراني	١٣٧
مخطط المدينة	١٤٠

Preview sample - page 9 of 13 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	الصفحة
قلب المدينة (المنطقة المركزية)	١٤٠
المسجد الجامع (جامع الزيتونة)	١٤٢
المناطق التجارية	١٤٥
التدرج الهرمي	١٥٠
التخصص في الأسواق	١٥١
نظام الشوارع	١٥٢
شبكة الشوارع الرئيسية العامة	١٥٢
نظام الأزقة	١٥٦
تغطية الشوراع	١٥٧
نمط قطع الأراضي	١٥٨
نمط الأبنية والنسيج الحضري	١٥٨
استعمالات الأرض الحضري	١٦٤
الاستعمالات التجارية	١٦٤
الاستعمالات السكنية	١٦٥
استعمالات الأرض الصناعية – الحرفية	١٦٥
استعمالات الأرض الدينية والثقافية	١٦٧

Preview sample - page 10 of 13 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	الصفحة
استعمالات الأرض لأغراض النقل	١٦٩
الفضاءات الحضرية المفتوحة والساحات العامة	١٧٠
الاستعمالات الأخرى (الخدمات التحتية)	١٧١
تغذية المدينة بالمياه	١٧١
شبكات الصرف	١٧٤
الشكل الحضري	١٧٤
القصبة	١٧٥
الربض	١٧٥
السور	١٧٧
الباب	١٧٨
البرج	١٧٨
المقبرة	١٧٨
الخزان (الماجل)	١٧٩
الخندق	١٧٩
المشافي (المارستانات)	١٨٠
التشكيل العمراني للمناطق التقليدية	١٨٠

Preview sample - page 11 of 13 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	الصفحة
مبادئ الملكية	١٨٠
الأحياء	١٨١
تدخل جهود الأحياء	١٨٢
عملية التشكيل	١٨٢
التجاوزات	١٨٦
الشارع كوسيط بين الممتلكات	١٨٨
الخاتمة	١٩٠
الفصل الرابع **الحفاظ على الموروث المديني**	
المقدمة	١٩٣
مفهوم الحفاظ	١٩٤
عناصر التجديد الحضري في المدن العربية الإسلامية وخصوصيتها الحضرية	١٩٥
الهيكل الحضري	١٩٥
تخطيط استعمالات الأرض	١٩٧
التخطيط المتضام	١٩٧

Preview sample - page 12 of 13 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع	الصفحة
مراعاة بعض الاعتبارات في مشاريع التجديد الحضري في المغرب العربي	١٩٨
المدينة العربية الإسلامية في المغرب العربي بين الحفاظ والتطور	١٩٩
مثال من عمليات الحفاظ على الموروث المديني في المغرب العربي (مدينة تونس)	٢٠٢
الملامح المميزة للمدينة	٢٠٢
المشكلات التي تتعرض لها المدينة القديمة	٢٠٦
الحلول التخطيطية	٢٠٨
إعادة التأهيل العمراني لمدينة تونس القديمة	٢١٤
مشروع إعادة هيكلة منطقة الحفصية	٢١٤
مشروع باب سويقة – الحلفاويين	٢١٥
مشروع الوكائل (عملية إنقاذ)	٢١٨
العوامل المحددة لاتجاهات الحل التخطيطي	٢١٨
العوامل المحددة لاتجاهات الحل التخطيطي لمدينة تونس	٢٢١
الخاتمة	٢٢٤
المصادر والمراجع	٢٢٧
فهرسة الاشكال	٢٤٥

Preview sample - page 13 of 13 - Soran University Academic Digital Library